

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [يونس: 75]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ قِصَّةَ نُوحٍ ﷺ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَقَصَصَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْإِجْمَالِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ قِصَّةَ مُوسَى ﷺ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَلَمَّا خَتَمَ الْآيَةَ السَّابِقَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ نَنْظُرُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعْتِدِينَ﴾، بَيَّنَّ أَنَّ "هَذَا كَمَا أَتَى مُوسَى ﷺ إِلَى فِرْعَوْنَ فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ فَكَذَّبَهُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَعَهُ آيَةٌ تُصَدِّقُهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأَتِ بِهَا إِنَّ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا أَتَاهُ بِهَا اسْتَمَرَّ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَكَانَ كُلَّمَا رَأَى آيَةً أَزْدَادَ تَكْذِيبًا، وَكَانَ فِرْعَوْنُ قَدْ قَوِيَ مُلْكُهُ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَعَلَا فِي كِبَرِيَّائِهِ، وَطَالَ تَجَبُّرُهُ عَلَى الضُّعَفَاءِ، فَطُمَسَتْ أَمْوَالُهُ وَأَثَارُهُ، وَبَقِيَتْ أَحَادِيثُهُ وَأَخْبَارُهُ، وَلِهَذَا أَفْصَحَ سُبْحَانَهُ بِقِصَّتِهِ" (1).

بعد أن طبع
الله على قلوب
المعتدين، مثل
لذلك بقصة
موسى وفرعون

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَمَلَئِهِ﴾: المَلَأَ: جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَجْتَمِعُونَ لِيَتَشَاوَرُوا وَيَتَحَادَثُوا، وَالْجَمِيعُ: الْأَمْلَاءُ (2)، وَالْمَلَأَ بِالْقَصْرِ وَالْهَمَزِ: الرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ. وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: 246] (3)، وَمَلَأَ الشَّيْءَ يَمْلُؤُهُ مَلَأً، فَهُوَ مَمْلُوءٌ، وَالْمَلَأَ: الرُّؤَسَاءُ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ مِلَأُوا بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَهُمْ أَشْرَافُ الْقَوْمِ وَوُجُوهُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَمُقَدِّمُوهُمْ، الَّذِينَ يُرْجَعُ إِلَى قَوْلِهِمْ (4). وَالْمَلَأُ: جَمَاعَةٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/168.

(2) الخليل، العين: (ملأ).

(3) ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس: 2/161.

(4) ابن منظور، لسان العرب: (ملأ).

يَجْتَمِعُونَ عَلَى رَأْيٍ، فَيَمْلُؤُونَ الْعُيُونَ رِوَاءً وَمَنْظَرًا، وَالنَّفُوسَ بهَاءً
وجلالاً، قَالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: 246]،
و﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الزمر: 33] (1).

(2) ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾: (كبر) الكَفُّ والبَاءُ والرَّاءُ أصلٌ صَحِيحٌ
يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصَّغَرِ (2)، والاستِكْبَارُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا:
أَنْ يَتَحَرَّى الْإِنْسَانُ وَيَطْلُبُ أَنْ يَصِيرَ كَبِيرًا، وَذَلِكَ مَتَى كَانَ عَلَى
مَا يَجِبُ، وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي يَجِبُ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ فَمَحْمُودٌ.
وَالثَّانِي: أَنْ يَتَشَبَّعَ فَيُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَيْسَ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْمُومُ،
وَعَلَى هَذَا مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَا قَالَ تعالى: ﴿أَبَى وَأَسْتَكْبَرُ﴾
[البقرة: 34]، وَقَالَ تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: 87] (3).

(3) ﴿تَجْرِمِينَ﴾: أصلُ الْجَرَمِ: قَطْعُ الثَّمَرَةِ عَنِ الشَّجَرِ، وَاجْرَمَ:
صَارَ ذَا جَرَمٍ، نَحْوُ: أَثْمَرَ وَالْبَنَ، وَاسْتَعِيرَ ذَلِكَ لِكُلِّ اكْتِسَابِ مَكْرُوهٍ،
وَلَا يَكَادُ يُقَالُ فِي عَامَّةِ كَلَامِهِمْ لِلْكَيْسِ الْمَحْمُودِ، فَمِنْ الْإِجْرَامِ قَوْلُهُ
ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [الطَّافِقِينَ: 29] (4)،
وَالْجُرْمُ: التَّعَدِّي، وَالدُّنْبُ، وَالْجَمْعُ أَجْرَامٌ وَجُرُومٌ، وَهُوَ الْجَرِيمَةُ (5).
وَيُقَالُ: جَرَّمَ أَجْرَمَ، ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ [هود: 35]. وَفُلَانٌ جَرِيمَةٌ أَهْلِهِ: أَيِ:
كَاسِبُهُمْ، وَاجْتَرَمَ بِمَعْنَى: اكْتَسَبَ. وَالْجَرِيمَةُ: مَا يَكْتَسِبُهُ الْإِنْسَانُ (6).

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يخبرُ الله تعالى أنه قد أرسلَ من بعدِ أولئك الرُّسُلِ ﷺ "مُوسَى

من عظيم
الْحَاوِرَاتِ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
قِصَّةُ مُوسَى
وَهَارُونَ مَعَ
فِرْعَوْنَ

- (1) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (مَلَأَ).
- (2) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (كَبَر).
- (3) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (كَبَر).
- (4) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (جَرَم).
- (5) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (جَرَم).
- (6) السَّمِينُ الْحَلِيقِي، عَمْدَةُ الْحَقَائِقِ: (جَرَم).

وأخاه هارونَ إلى فرعونَ ملك مصرَ، وإلى خاصَّتهِ، داعينَ إلى عبادةِ الله وحدهُ، ومؤيِّدينَ بالحُججِ الباهرةِ، فاستكبرَ فرعونُ وقومُه عن مُتابعةِ موسى وهارونَ في دعوتِهِما، وكانوا بهذا الرِّفضِ مُرتكِبينَ جرماً عَظيماً، آثمينَ به⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ في الآية:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ﴾ معطوفٌ على قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾، فهو عطفٌ قصَّةٍ على قصَّةٍ سابقةٍ⁽²⁾، وهو من عطفِ الخاصِّ، لما في هذا الخاصِّ من عبرٍ وعِظاتٍ، فاهتمَّ به، وأفردهُ بالتفصيلِ دونَ الإجمالِ.

دلالةُ العطفِ بالحرفِ ﴿ثُمَّ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أثرُ النِّظمِ الكريمِ العطفَ بحرفِ العطفِ (ثمَّ)، الدَّالُّ على التَّراخي الرَّتبِيّ؛ "لأنَّ بعثةَ موسى وهارونَ ﷺ كانتَ أعظمَ من بعثةِ مَنْ سَبَقَهُما مِنْ الرُّسُلِ"⁽³⁾، ويُحتملُ أن يُرادَ به التَّراخي الزَّمَنِيّ، والمعنى: وبعثنا موسى بعدَ زَمَنٍ طويلٍ، مِنْ إهلاكِنا أولئك الأقوامَ⁽⁴⁾.

دلالةُ ﴿بَعَثْنَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ﴾ عبَّرَ السِّياقُ الكريمُ بالبعثِ الَّذي لا يقتضي أن تكونَ هناك رسالةٌ؛ لأنَّه لم يأتِ برسالةٍ إلى فرعونَ، فكانَ مُجَرَّدَ تَبْلِيغٍ لَهُم بِالوَحْدَانِيَّةِ، وبإبطالِ ادِّعاءِ ألوهيَّةِ فرعونَ، "وقد جاءَ موسى بآياتٍ؛ أي: جاء... بالبيِّنةِ

الْقَصَصُ الْقُرْآنِيُّ
تَكَامُلٌ، وَتَقَبُّسٌ
كُلُّهَا مِنْ مِشْكَاتٍ
وَاحِدَةٍ

مُوسَى وَهَارُونَ
مِنْ أَعْظَمِ أَنْبِيَاءِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ
قُدُوءَةً وَتَأْثِيرًا

وَاجِبَةُ مُوسَى
وَأَخُوهُ فِرْعَوْنَ
باعتباره مَبْعُوثٌ
العناية الإلهية

(1) جماعة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 299.

(2) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/167.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/246.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 9/168.

الدَّالَّةِ عَلَى رِسَالَتِهِ، وجاءَ بالعصا التي ألقاها، فإذا هي حيَّةٌ تَسْعَى، وكانَ قَوْمُهُ عَلَى عِلْمٍ بِالسَّحَرِ، فإذا عَرَفُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ سِحْرًا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ⁽¹⁾.

معنى ضمير العظمة في ﴿بَعَثْنَا﴾:

عظمة البعث
من عظمة
البعث،
وقداسته من
قداسة المضمون

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ﴾ أسند الفعل إلى ضمير التعظيم في البعث؛ لأنه أشار إلى أنه بعث عظيم، اكتسب عظمته من المرسل المعظم نفسه بما يستحقه من تعظيم وجلال، كما اكتسب ذلك التعظيم من الغاية التي حصل البعث لأجلها، وهي هداية الناس وإقامة التوحيد.

دلالة الزمن في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾:

رسالة موسى
وهارون تجديد
لواصل بين
السماء والأرض

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ﴾ أدخل حرف الجر (من)؛ للدلالة على عدم استغراق زمن البعث⁽²⁾، والمعنى: أن بعث موسى وهارون ﷺ تحقق بعد انتهاء مرحلة تلك الرُّسُل، بحيث مرَّ زمانٌ بقدر يُمكن أن يُقال له: إنه مرحلة جديدة كائنة بعد تلك الرسائل، ودخول (من) يدلُّ على أن بعث موسى ﷺ كان في ذلك الوقت.

علة التقديم في ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾:

موسى رسول بدأ
الله به الدعوة،
ثم شدَّ عضده
بأخيه

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ﴾ قدَّم النظم الكريم ذكر موسى قبل هارون ﷺ؛ لأنه المبعوث أصالةً، وأما هارون فكان بعثه استجابةً لطلب موسى، إذ أرادَه أن يكون مُعينًا له ومُؤازِرًا، فقدَّم المبعوث أصالةً؛ لأنه الأجدر بالتقديم. وقال الله لموسى ﷺ: ﴿وَأَنَا أَخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: 13]، فالأصل إذن كانت رسالة موسى ﷺ ثم ضمَّ الله سبحانه هارونَ إلى موسى؛ إجابةً لسؤال

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3619.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/168.

مُوسَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 29 - 32]، والدليل على ذلك أَنَّ الآياتِ كُلَّهَا المبعوثَة في تلك الرِّسالة كانت بيدِ مُوسَى، وحين يكونُ مُوسَى هو الرِّسولُ، وينضمُّ إليه هَارُونُ، لابدَّ إذن أن يُصبح هَارُونُ رسولاً. ولذلك نجدُ القرآنَ مُعبِّراً عن هذا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: 47]؛ أي: أَنَّهُمَا رسولانِ مِنَ اللَّهِ. وفي آيةٍ أخرى يقولُ الحقُّ سبحانه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشَّعراء: 16] (1).

دلالة عطف الملاء على فرعون في قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ بِآيَاتِنَا﴾ عطفُ الملاء على فِرْعَوْنَ يُفصِّحُ عن أنَّ مُوسَى لم يُبعثْ إلى فِرْعَوْنَ وحسب، بل بُعثَ إلى فِرْعَوْنَ وحاشيته، وأهلِ الحلِّ والعقدِ مِنَ النَّاسِ، والمرادُ بالملاء: "الأشرافُ من قومه، فَإِنَّ الأطرافَ تَبِعَ لَهُمْ" (2)، وفي ذلك إشارةٌ إلى تأثيرِ هؤلاء في رأيِ جمهورِ النَّاسِ، وأنَّ فِرْعَوْنَ لم يكنْ ليفعلَ ما فَعَلَ لو كانَ وحدهُ بلا هذه الحاشية.

دلالة الإضافة في ﴿وَمَلَأِيهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ بِآيَاتِنَا﴾ أضافَ الملاء إلى ضميرِ فِرْعَوْنَ؛ للدلالةِ على أَنَّهُمْ مُخْتَصَّصُونَ بِهِ، وَأَنَّهُمْ تابعونَ لَهُ، وليسَ لَهُمْ شأنٌ بمصالحِ النَّاسِ، بل ديدَنُهُمْ ومُنْتَهَى شأنُهُم الإخلاصُ إلى فِرْعَوْنَ، فَهُمُ بطانته وحاشيته؛ لأنَّهُمْ "هُمُ أشرافُ القومِ، ووجوهُهُ وأعيانُهُ، والمقربون من صاحبِ السَّيادةِ العليا، ويُقالُ لَهُمْ: (ملاء)؛ لأنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يملأُونَ العيونَ؛ أي: لا ترى العيونَ غيرَهُمْ ... وكانَ الكهنةُ يُؤَكِّدُونَ أَنَّ الفِرْعَوْنَ إلهٌ، ولكُلِّ فِرْعَوْنَ ملاءٌ يَصْنَعُونَهُ" (3).

بطانة فِرْعَوْنَ
زَيَّنَتْ لَهُ الباطلَ،
فأَلْحَقَتْ بِهِ في
الوصفِ والمصيرِ

الملاء يُبالِغُونَ
في تصَنُّعِهِمْ،
والنَّاسُ على
دينِ مُلوِكِهِمْ

(1) الشَّعراوي، تفسير الشَّعراوي: 10/6122.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/169.

(3) الشَّعراوي، تفسير الشَّعراوي: 10/6124.

دلالة اختصاص ذكر فئة (الملائكة):

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ بِآيَاتِنَا﴾، خصَّ ذِكْرَ الْمَلَأِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ؛ "لَأَصَالَتِهِمْ فِي إِقَامَةِ الْمَصَالِحِ وَالْمُهَمَّاتِ، وَمُرَاجَعَةِ الْكُلِّ إِلَيْهِمْ فِي النَّوَازِلِ وَالْمُلَمَّاتِ"⁽¹⁾، فالبعثُ وَجَهٌ إِلَى أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَالطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فِي الْحُكْمِ؛ لِأَنَّ لِهَؤُلَاءِ مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى فِرْعَوْنَ، وَإِلَى مَلَأَتِهِ؛ أَي: خَاصَّتِهِ وَأَشْرَافِ مَمْلَكَتِهِ، وَأَرْكَانِ دَوْلَتِهِ، وَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ كَالتَّابِعِ لَهُمْ⁽²⁾.

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ دَلَّتِ الْفَاءُ عَلَى التَّفْرِيعِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَفْرِيعِ اسْتِكْبَارِهِمْ عَلَى الْبُعْثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْاسْتِكْبَارَ مُتَرَتِّبٌ وَجُودِيًّا عَلَى الْبُعْثِ، "وَتَفْرِيعُ (فَاسْتَكْبَرُوا) عَلَى جُمْلَةٍ (بَعَثْنَا) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ إِعْرَاضٍ مِنْهُمْ وَإِنْكَارٍ فِي مُدَّةِ الدَّعْوَةِ وَالْبُعْثَةِ، هُوَ اسْتِكْبَارٌ"⁽³⁾، وَلَيْسَتْ لِلسَّبَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْبُعْثَ لَا يَكُونُ سَبَبًا لِلْاسْتِكْبَارِ، وَيُمْكِنُ لِمَحْ السَّبَبِيَّةِ عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْبُعْثَ سَبَبٌ إِظْهَارَ مَكْنُونِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْاسْتِكْبَارِ، وَلَيْسَ هُوَ السَّبَبُ الْأَصْلُ فِي اسْتِكْبَارِهِمْ.

دلالة التعبير بصيغة ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾:

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ جَاءَ الْفِعْلُ الدَّالُّ عَلَى تَكْبُرِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِصِيغَةِ الْاسْتِفْعَالِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَبَالِغَةِ فِي التَّكْبُرِ، كَمَا أَنَّ الصِّيغَةَ تَدُلُّ عَلَى الطَّلَبِ، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ طَلَبُوا هَذَا الْكِبَرَ عَلَى قَبُولِ الْآيَاتِ؛ تَجْسِيدًا لِرَغْبَتِهِمْ فِي التَّعَالِي عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مُوْجِبَاتٌ ذَلِكَ، فَاسْتِكْبَارُهُمْ إِنَّمَا هُوَ ادِّعَاءٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لِذَلِكَ، "فَاسْتَكْبَرُوا تَعَاظَمُوا عَنِ

خطاب النُّخْبَةِ
وَالسَّرَّاءِ
يَنْسَحِبُ عَلَى
الْعَامَّةِ، كَمَا
يَنْسَحِبُ عَلَى
الدَّوَاتِ

الاستكبار
إِعْرَاضُ الْفُئَرَيْنِ
عِنْدَ بُلُوغِهِمْ
الْحَقِّ، وَظُهُورِ
الْبَيَانِ

الاستكبار تَطَلَّبُ
الْكِبَرِ، بِالتَّعَالِي
عَلَى شَرِيعِ اللَّهِ
فِي النِّهْيِ وَالْأَمْرِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/167.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 7/110.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/247.

قَبُولِهَا، وَأَعْظَمَ الْكِبَرِ أَنْ يَتَعَظَّمَ الْعَبِيدُ عَنْ قَبُولِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ،
بَعْدَ تَبَيُّنِهَا وَاسْتِضَاحِهَا⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالاستكبار في ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾:

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ عبّر عن تكذيبهم
بالاستكبارِ دلالةً على سوءِ طويّتهم، فإنّ انبعاثَ كُفْرِهِمْ لَيْسَ عَنْ
دِرَايَةٍ؛ بَلْ عَنْ تَكَبُّرٍ وَاحْتِقَارٍ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، فالمرادُ "أَنَّهُمْ تَكَبَّرُوا عَنْ
تَلَقِّي الدَّعْوَةِ مِنْ مُوسَى؛ لِأَنَّهُمْ احْتَقَرُوهُ، وَأَحَالُوا أَنْ يَكُونَ رَسُولًا مِنَ
اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْمِ مُسْتَعْبِدِينَ، اسْتَعْبَدَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَهَذَا وَجْهُ
اخْتِيَارِ التَّعْبِيرِ عَنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ دَعْوَتِهِ بِالْاِسْتِكْبَارِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ
عَنْهُمْ: ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: 47]⁽²⁾.

الدلالة في ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ عبّر عن اتصافهم
بالإجرامِ بالفعلِ (كَانُوا)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَمَرِّسُونَ فِي الْإِجْرَامِ،
عَرِيقُونَ فِيهِ، مِنْ قَدِيمٍ؛ "أَي: وَقَدْ كَانَ الْإِجْرَامُ دَأْبَهُمْ وَخُلُقَهُمْ فَكَانَ
اسْتِكْبَارُهُمْ عَلَى مُوسَى مِنْ جُمْلَةِ إِجْرَامِهِمْ"⁽³⁾.

دلالة ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾:

خَتَمَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ﴾؛ تَقْرِيرًا وَتَعْلِيلًا لِمَا سَبَقَ، فَهُوَ "اعْتِرَاضٌ مُقَرَّرٌ لِمُضْمُونِ
مَا قَبْلَهُ؛ أَيْ: كَانُوا مُعْتَادِينَ لِارْتِكَابِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، فَإِنَّ الْإِجْرَامَ
مُؤَذِّنٌ بِعِظَمِ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ الْجَرْمُ؛ أَيْ: الْجَثَّةُ. فَلِذَلِكَ اجْتَرَأُوا عَلَى
مَا اجْتَرَأُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِسْتِهَانَةِ بِرِسَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى"⁽⁴⁾، فَصَفَةُ الْإِجْرَامِ
مُنَاسِبَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِهِمْ الْحَقَّ بِأَنَّهُ سِحْرٌ.

الإعراض عن
الإيمان، ليس
إلا استكباراً عن
جهل وسفاهة
رأي

من استكبر صغر
غيرته لديه، ومن
شبه على شيء
شابه عليه

الاستكبار
مفض إلى
الإجرام المهلك،
والضلال الفاتك

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/90، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/167.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/247.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/247.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/167.



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 19، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-16-6

يشتمل على ارجاعات ببلليوجرافية.

مج. 19: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 978-9948-768-16-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»